مجلة المجمع العلمي

الثنائيات الأخلاقية في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام

الدكتورة نضال احمد باقر

الملخص :

يتعرض هذا البحث لاهمية الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين ، ويبين أن بؤرة التضاد وفاعليته تظهر حينما يجتمع الضدان على خط مستقيم واحد ، فيتركان خلفهما ظلال المعاني ليظهر احدهما ــ أي المتضادين ــ موضوعة الآخر ومحاسنه وكل أبعاده المعنوية والجمالية التي كانت متماهية خلف آثار اصطراع المتضادات ، ولإيضاح أهمية الثنائيات الأخلاقية ، تطرّق البحث إلى اثر الثنائيات في تنظيم فعاليات سلوك الشعراء المخضرمين ورغباتهم ، إذْ يحكم بعضها التقابل الثنائي ، فالخير يقابله الشر ، والصدق يقابله الكذب ، والوفاء يقابله الغدر ، وانتهى البحث إلى أن لظاهرة الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين صلة وأثرا واضحا في حياة المجتمع ، ففيها تبرز أحوال الناس ومعتقداتهم ومشاعرهم ، وتتضح من خلالها أخلاقهم وطبيعة تعاملهم ، يستطيع المتلقي أن يتبين أثرها النفسي لدى الشعراء من خلال نتاجهم الشعري .

المقدمة :

الثنائيات المتضادة مفهوم شعري نجده في الشعر العربي واضحا مؤديا دورا جوهريا في إيصال الفكرة التي يروم الشاعر إيصالها إلى المتلقي ، ولا تبدو الثنائيات المتضادة واضحة إلاّ إذا نظر إليها من خلال حالة

شعرية تهزُّ كيان الشاعر ؛ وليس أكثر من الإسلام تأثيرا في الشاعر الجاهلي ، الذي أصبح أمام حالة إنسانية جديدة غيّرت حياته كليا ؛ وفي كل نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ؛ لذا كان الالتفات إليها ضرورة ملحّة ؛ ودرسها ضرورة يقتضيها البحث الأدبي ؛ لهذا درستُ الثنائيات الأخلاقية في شعر المخضرمين لما لها من بالغ الأثر في تنظيم الحياة الاجتماعية وشد أواصرها وتوجيه السلوك الاجتماعي نحو وجهة الخير والمحبة والتعاون ، وقد أحدث الإسلام ثورة في حياة العرب أدت إلى تغيير شامل في كل مفردات الحياة وتفاصيلها فتأثرت المفاهيم والأفكار والقيم السائدة آنذاك بما جاء به الإسلام من مبادئ وأفكار جديدة ، وكان للشاعر دوره الفاعل والمؤثر في تلك الأحداث والوقائع للدفاع عن الإسلام والرد على مناوئيه ، فكان الشعر مرآة صادقة أثرت فيها كل صور الحياة ، وما يتعلق بها من قيم ، ومثُل عليا ؛ لذلك اخترت ثنائية الخير ضد الشر ، والصدق ضد الكذب ، والوفاء ضد الغدر ؛ لتكون أنموذجا للثنائيات الأخلاقية . ونستطيع من خلالها أن نكوّن صورة شاملة للحياة الاجتماعية ، وما يرافقها من قيم ومثُل عليا وأفكار ترسخت في الأذهان وتجسدت في المجتمع وظهرت آثارها واضحة في الشعر المخضرم ؛ لهذا كان من الضروري دراستها والإحاطة بها .

المبحث الأول

الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر)

الخير في اللغة ضد الشر وجمعه خيور وفيه قال النمر بن تولب :

وَلاقيتُ الخُيُورَ وأخْطَأَتْني شُرُورُ جَنَّةٌ وَعَلوتُ قِرني[1]

والخير كل فعل فيه صلاح الآخرين ، والشر نقيضه وهو كل رذيلة يستكرهها الناس وترفضها الأذواق السليمة ((وجمعه شرور))[2] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان على وجه البسيطة خليفته في أرضه قال تعالى : ((إنّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَة))[3] . وأوجد معه الخير والشر يصطرعان في داخله . قال تعالى : ((وَنَفْس وَمَا سوَّاهَا * فألْهَمَهَا فُجُورَها وتَقْواها))[4] .

لذلك اختلفت آراء العلماء في طبيعة الإنسان الشريرة والخيّرة ، فبعضهم يرى إنَّ الشر يغلب عليها ولا تستطيع منه فكاكا ((فالإنسان شرير بطبيعة غرائزه المتأصلة فيه ، كما إنَّ رغباته شريرة أكثر منها خيرة))[5] وإنَّ الإنسان جُبِل على فعل الشر ، وهو بطبيعته التي خُلق عليها إنسان شرير لا يعرف الخير ولا يستطيع التسامي إليه .

ومنهم مَنْ يرى أن طبيعة الشخصية الإنسانية خيرة وإن الشر يأتي من المجتمع ((فإذا أردنا أن نصلح الحياة الإجتماعية فعلينا أن نربي الناشئة تربية طبيعية بعيدة عن مؤثرات المجتمع وشروره))[6] .

---

[1] شعراء إسلاميون ، شعره : ٣٩٢، الخيور مفردها خير .

[2] لسان العرب ، مادة : (شرر) .

[3] سورة البقرة ، من الآية : ٣٠.

[4] سورة الشمس ، الآيتان : ٧ــ ٨ .

[5] منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته : ٩٥ .

[6] المصدر نفسه : ٩٦ .

ولعل جان جاك روسو هو أكثر مَنْ دعا إلى هذا الرأي في كتابة العقد الإجتماعي ، وكانت فلسفة هذه مستقاة من مبادئ الإسلام العظيمة ، وقد تأثر به بعض علماء التربية والإجتماع الغربيين وصاروا يؤكدون ما ذهب إليه من إن الإنسان خير بطبيعته لأنه جاء عن طريق خالق الكون ، فإذا ما مسته يد الشر أحالته إلى شرير[٧] .

وقد نظر الشعراءُ المخضرمون في العصر الجاهلي إلى موضوعة الخير ضد الشر فأوجدوا لها معنيين مرتبطين مع بعضهما الأول مادي وهو ((ما يرغب فيه وما يكره))[٨]. ومنه قول كعب بن زهير :

لَعَمرُك لَوْلاَ رَحْمَةُ اللهِ إنَّني ... لأمْطُو بِجَدٍّ ما يُرِيدُ لِيَرْفَعَا

فَلو كنتُ حُوتا ركضَ المَاءُ فَوْقَهُ ... ولَوْ كنتُ يَرْبُوعاً سَرَى ثم قَصَّعَا

إذا مَا نتجنا أربعا عام كفاة ... بَغَاهَا خَنَاسِيرٌ فَأَهْلَكَ أَرْبَعَا

إذا قُلْتُ إنِّي فِي بَلاَد مَضَلَّةٍ ... أَبَى أنَّ مَمْسَانا وَمُصْبَحَنَا مَعا [٩]

والمعنى الثنائي دارَ حول المعنى الأخلاقي وهو ((تابع للمعنى المادي .. فالخير بالمعنى الخلقي هو صنع ما ينفع الناس ويسعدهم والشر يقابله))[١٠]

---

[٧] ينظر : منهج التربية ، أصوله وتطبيقاته : ٩٧.

[٨] الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠٣ .

[٩] شرح ديوانه : ٢٢٧ ، أمطوا : أخذ ، الجَدُّ : الحظ وإنما يشكو حظه ، قصع دخل القعصاء وهي حجرة اليربوع ، الخناسر : الدواهي .

[١٠] الحياة والموت في الشعر الجاهني : ١٠٥ .

وعمرو بن معد يكرب في جاهليته استعمل الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) إستعمالا يدل على إظهار الإعتداء والشر حين قال :

فَلَمَ نقتلْ شِرارُهمُ ولكن قتلنا الصالحينَ ذوي السلاحِ
قَتَلْنا مُطعِمِ الأَضيافِ منهم وأصحابَ الكريهةِ والصباحِ[11]

إنّ متأمل النص يجد أن الواقع الأصلي له هو الفخر وقد عبّر الشاعر عن هذا الواقع شعرا فنقلنا إلى ساحة الصراع والتخاصم والتحارب ، فكانت هذه الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) بمثابة وعاء هذا الصراع ، فقد استطاع الشاعر أن يوظف أسلوب التضاد بالكلمات لأنه الأسلوب المناسب لهذا الواقع ، ولأن كل متضادتين متصارعتان متخاصمتان في الوقت عينه ، فهما إذن لا تجتمعان أبدا ؛ لأن أساس وجودهما التنافر والضدية . ومنذ بداية غرض النص الأصلي يبدأ الشاعر باستعمال أسلوب التضاد المتقابل على مستوى الأفعال المتقابلة والمتصارعة في بنية النص وهي (فلم نقتل ضد قتلنا) ، واستعمل لفظة شرارهم التي يقابلها في جداول المتضادات المعجمية (خيارهم) قد عدل عنها إلى الصالحين وهي نتيجة لخيارهم وقد كثّف الشاعر جملته ، فأبعد خيارهم وجاء بلفظة الصالحين ، وبذلك استطاع أن يرسم الواقع بالكلمات ليفرز صورة حيةَ للواقع العربي المعاش آنذاك القائم على الصراع القبلي .

---

[11] ديوانه : ٥٢ ــ ٥٣ ، وينظر مثل ذلك : ١٤٨ ، وشرح ديوان الخنساء : ١٨٥.

وشغلت الأنساب تفكير العرب كثيرا ، لأنها علم من علومهم التي عقدوا لها مؤلفات ضخمة[١٢] ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على مكانتها المهمة لديهم ، فقد أفتخر حسان ابن ثابت في جاهليته بأنه لا يستطيع أن يخلف أباه ، لأنه أفضل منه وجاء ذلك ردا على قول أبي سفيان بن الحارث الذي كان قد هجاه قائلا :

ألاَّ مَنْ مبلغ حسان أني ... خلفت أبي ولم تخلف أباك

فأجابه حسان قائلا :

إني لَعَمْرُ أبيكَ شرٌّ من أَبي ... ولأنتَ خيرٌ من أبيكَ وأكرَمُ

وَبَنُوكَ نوكَى كلُّهُمْ ذُو علَّةٍ ... وَلأنْتَ شَرٌّ من بنيكَ وَألأمُ [١٣]

يبدو أن حسانا بن ثابت في جاهليته يستشعر العار إن قيل له أنك خير من أبيك ، لأن أعرافهم وتقاليدهم تفرض عليهم الافتخار بالأنساب[١٤] ، لهذا نجد الشاعر قد ثارت حميته فأخذ يظهر امتعاضه من ذلك القول من خلال توظيفه الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) وهما أسما تفضيل يحملان في ذاتيهما ثنائية ضدية أُخرى هي (الشاعر ضد الممدوح) فالممدوح يتمتع بالشرف والسيادة والتفوق على أبناء جنسه ، بمعنى إنه يتفوق عليهم بالخير الذي يحمله وهي صفة من صفات التكامل

---

[١٢] يلاحظ مثلا كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، وكتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، وكتاب الأنساب لأبي سعد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)

[١٣] شرح ديوانه : ٤٥٦ ، نوكى : حمقى .

[١٤] ينظر الإنتماء في الشعر الجاهلي : ٨٢.

الاجتماعي والأخلاقي ، والتفاخر بالأنساب من الصفات النافعة لإنهاء جزء من الخير العام الذي ينمي القيم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، ولكنه يقود إلى الشطط والتخلف إذا لم يرافقه ما يثبت ذلك الأصل ، فالأصل تتبعه الفروع وحسان في النص ينفي كون الفروع جزءً من الأصل ، ومن هنا ندرك أنهم قبل الإسلام كانوا يؤمنون بأن النسب الوضيع لا يرفعه أو يزكيه أي عمل مهما كان نافعا ، وهذا المفهوم جعل حسان متغطرسا .

نستنتج من ذلك إن ثنائية (الشر ضد الخير) أظهرت النظرة القاصرة التي ولدت الاتكالية والضعف ، وإنها منعت التطور والتجدد الذي كان يمكن أن يحصل لو أن الشاعر أجهد نفسه ليكون أفضل من أبيه .

ويبدو أنَّ غالبية الشعراء المخضرمين كانوا ممن يؤمنون بالقدر ويعتقدون بمسؤوليته عن خيرهم وشرهم[١٥] حين وجدوا أنفسهم في خضم المتناقضات منحنين منقادين صاغرين له ، فقد شعروا بعدم جدوى مقاومته . ومن هنا وجدنا النابغة الجعدي يجسد فكرته القائلة بوجود الخير والشر وهما في صراع دائم مع القدر ، فالعالم ليس كله خيرا أو جلّه شرا بل يتعاقب النقيضان على هذا الوجود ، فعلى الإنسان أن يأخذ من هذا عبرة ويتعامل مع الحياة بحذر حين قال :

وأعلم إن الخيرَ ليسَ بدائمٍ عليناوإن الشرَّ لا هو يرتئبْ [١٦]

---

[١٥] ينظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي : ١٠١ .

[١٦] شعره : ١١ .

أورد الشاعر عنصري الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) في شطري البيت بحيث يكون الصدر مطابقا للعجز ، وبذلك يكون قد حقق بفعله هذا شيئا من التوازن والتعادل الذي أراده .

وأبو ذؤيب الهذلي بعدما قتلَ ناسٌ من بني سليم ناسا من هذيل ، تألم كثيرا لما أصاب قومه[١٧] وأحسَّ بفداحة المصاب والوجيعة فقال :

فدعْ عنكَ هذا ولا تغتبطْ ... لخيرٍ ولا تَتَبأس لِضُرْ
وَخفِّضْ عليكَ من النائباتِ ... ولا تَكُ منْهَا كَئِيبًا بِشَرْ
فإنَّ الرِّجَالَ إلى الحادثا ... تِ فاستَيقَنَنْ أحبُّ الجُزُرْ [١٨]

تتجلى من النص الثنائيتان المتضادتان (تغتبط ضد تبتأس) و (الخير ضد الضر) على الرغم من أن الخير ضده الشر وليس الضر ، وما الضر إلاّ نتيجة من نتائج الشر أو هو قرينة من قرائنه والشاعر يجسد من خلال هاتين الثنائيتين قضية القدر ، فهو يرى على المرءِ أنْ لا يفرح ويبتهج كثيرا لقدوم الخير ، ولا يحزن ويكتئب إذا تجلى له الشر ، لأن كل ذلك قدر من الأقدار التي لا يمكن أن تُجابه ، وقد أفاد الشاعر من أسلوب الثنائيات المتضادة في تدعيم حجته وتقوية المعنى وتحريك المشاعر للعمل على الإقناع للتخلص من الحزن الذي اعتراه بسبب تلك الحادثة .

والخنساء بنت عمرو بن الشريد في جاهليتها وظفت الثنائية المتضادة (النفع ضد الضر) في رثاء أخيها صخر ، لتظهر من خلالها القيمة الحقيقية للمرثي من خلال ما يقدمه للقبيلة من الخير ، فضلا عن تمكنه من إنزال الشر

---

[١٧] ينظر شرح أشعار ديوان الهذليين : ١/ ١١٢ .

[١٨] ديوان الهذليين : ١/ ١٤٩ ــ ١٥٠ .

باعدائه ، فقيمة الإنسان في الجاهلية تتوقف على مقدار ما يقدمه من النفع أو الضر في الحياة . فقالت :

فإنْ كانَ صخرُ الجودِ أصْبَحَ ثَاوِيا فَقَدْ كَانَ فِي الدُنْيا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ[١٩]

أقامت الشاعرة علاقة تحالف مع الثنائيتين المتضادتين (النفع ضد الضر) ظاهريا و (الخير ضد الشر) ضمنيا ، لأن النفع ضده الضر ــ والخير ضده الشر ، إلا أنها أقامت علاقة التحالف ؛ لأن النفع داخل في الخير والخير لفظ عام يدل على منافع كثيرة ، ومثلهما الضر والشر .

وبعد مجيء الإسلام تغيّر مفهوم ثنائية الخير ضد الشر ، فقد جعلها الله تعالى امتحانا وابتلاءً لعباده حين قال : ((كُل نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم بالشرِ والخيرِ فتنةً وإلينا ترجعون))[٢٠] . ومن هنا جاء التسليم بإرادة الله سبحانه وتعالى والإحساس بعنايته نابعين من الإيمان بالقدر ، لأن ((المسلم الذي يؤمن بالتصور الإسلامي على بصيرة فلا يجزع ولا يقلق ولا يضطرب لما يترقبه من قدر الله لأنه قد سلّم أمره إلى الله واطمأن إلى أرادته فيه ، واطمأن إلى أنه لا يريد له في النهاية إلاّ الخير ، تهديه في ذلك علاقة المودة لله والحب ، والرغبة المتبادلة من الجانبين))[٢١] . وفي هذا يرى معن بن أوس المزني عدم دوام الشر ولزومه وعلى الإنسان في الدنيا أن يظل مؤملا الخير في أمسى الظروف حين قال :

---

[١٩] شرح ديوانها : ١٨٥ ، وينظر مثل ذلك : ٢٣٤ ، وديوان عمرو بن معد يكرب : ١٤٨ ، وديوان قيس بن الخطيم : ٨٠ .

[٢٠] سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥.

[٢١] منهج الفن الإسلامي : ١٠٧ ــ ١٠٨ .

فَلاَ تَحْسِبَنَّ الشرَّ ضَرْبَةَ لازمٍ ولا الخَيْرَ في الدُّنيا على المرء سرْمَدا[٢٢]

ولا يستوي الشاعر المؤمن بالشاعر الكافر في رؤيتهما إذ يرى عبد الله بن الزبعرى يوم أُحد في هجائه حسان بن ثابت أَنَّ للخير والشر غاية أوجدها الله سبحانه وتعالى ينتهيان إليها ولكل منهما وجهة يوجهها الله فيها وأن العيش ونعيمه لا يدومان لأحد حين قال :

يا غراب البينِ أَسمعت فقلْ إنما تنطقُ شيئا قد فعل

إن للخيرِ وللشرِ مدى وكلا ذلكَ وجه وقبل

كُلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدهرِ يلعبنَّ بكُلّ[٢٣]

وتميم بن أُبي بن مقبل قال بعد إسلامه :

إنا مشائيم إن أرشت جاهلَنا يومَ الطعانِ ، وتلقانا ميامينا [٢٤]

لقد مثلت ثقافة الشاعر الدينية التي اكتسبها من خلال إيمانه بالدين الإسلامي والعقائدية الموروثة التي اكتسبها من مجتمعه في العصر الجاهلي بوصفة عضوا فيه وسيلة موجهة لخدمة القضية الإسلامية وقد امتزجت رؤاه الشعرية واختلطت بما هو راسخ في نفسه حتى قيل عن قصيدته التي اقتطعنا منها هذا البيت أنها من المشوبات ، ومشوبات العرب سبع قصائد جياد شابهن الكفر والإسلام[٢٥] .

---

[٢٢] ديوانه : ٨١ .

[٢٣] السيرة : ٣/ ١٣٦ ــ ١٣٧ .

[٢٤] ديوانه : ٣٣١ .

[٢٥] ينظر هامش ديوان الشاعر : ٣١٥ .

فالشاعر استعمل الثنائية المتضادة (مشائيم ضد ميامين) للتعبير عن الثنائية المتضادة (الشر ضد الخير) وقد استعمل مفردة مشائيم وهي جمع مشؤوم وهو الذي يجلب الشر والشؤم والفراق ضد مفردة ميامين وهي جمع ميمون وهو ذو البركة والخير واليُمن ، وقد جاء استعماله مفردة مشائيم مثلما استعملها الجاهليون ، فقد كانوا يعمدون إلى هذا الوهم في مقاومة الحجج والمنطق فكانوا يقولون كما جاء القرآن الكريم بلسانهم : ((قَالوا إنَّا تطيرْنا بِكُمْ لئن لمْ تنتهُوا لنرجُمَنّكُم وليُمسنّكم منَّا عذابٌ عظيم))[٢٦] . وقد عدَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الطيرة شركا تؤدي بصاحبها الى الكفر الصريح حين قال : ((الطيرة الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك))[٢٧] . ومن هنا نجد خروج الشاعر عن إطار التعبير المألوف إلى التعبير الساخر المتهكم الذي ينتقد بلغة لا يمكن الفصل معها بين رؤية وأُخرى ، ومن زحمة المتناقضات التي تعتمل في داخل الشاعر نجده يوظف ثنائية (مشائيم ضد ميامين) توظيفا يخدم به الدعوة الإسلامية فهو يحذر أعداء الإسلام من أن المسلمين مشائيم أشرار في الحرب يجرون الشؤم على أعدائهم ، وهم في ذات الوقت ميامين وأصحاب خير وبركة ، لمن يطلب الصلح والسلام معهم .

ويظهر الشاعر المخضرم حسان بن ثابت أُصولا عالية من الأخلاق الإسلامية المستمدة من روح الإسلام ، حين جَعَلَ مصطلح الشر شاملا لكل ما هو من الرذائل والخطايا والذنوب وجميعها متمثلة بالكفر حين قال :

---

[٢٦] سورة ياسين ، الآية : ١٨ .

[٢٧] التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول : ٧/ ٦٧٠ .

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ لهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُما لِخيرِكُما الفداءُ [٢٨]

هَجَوْتَ مُبَارِكا برا حنيفا أَمينَ اللهِ شيمتُهُ الوَفاءُ

فمنْ يَهْجُو رسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ويَمدحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ [٢٩]

يعلو صوت الشاعر معبّرا عن توحد الثنائيات المتضادة (الشر ضد الخير) و (يهجو ضد يمدح) على الرغم من تضادهما الصارخ مستخفا بها ، لأنها صادرة من عدوٍ كافر يحمل صفة الكفر ، والكفر هو الشر بعينه ، ولا يحتمل صدور الخير منه ، لذلك استوت لديه هذه المتضادات فكانت حافزا قويا للتحدي المضاد لإبراز مستوى عالٍ من التميز والتفوق في المجال الأخلاقي والإجتماعي ، اتخذه الشاعر منفذا للتعبير عن الإحساس بالحب وبالقيمة الجليلة التي يحملها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأن أول شرائط عمل الخير لدى الأفراد هو التعرف على بنية واقعهم ورسم صورتهم من خلاله ، وقد أظهر الشاعر قدرة متميزة على حماية ذلك التميز والتفوق ، لأن هناك تداخلا بين كيان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وجماعته ، وأن كيان هذه الجماعة يظهر بفعاليته أفرادها وقدرتهم على الدفاع عنها .

ويبدو أن الأخلاق الفاضلة عند بعض الشعراء المخضرمين هي أثر من آثار التغييرات التي أحدثها الإسلام ، وقد عمل صفاء نفوس بعض الشعراء

---

[٢٨] عدَّ العلماء هذا البيت أنصف ما قالته العرب في الهجاء . ينظر ديوان المعاني : ١/ ١٩١.

[٢٩] شرح ديوانه : ٦٤ .

الذين صاروا يستشعرون المعاني الإسلامية الروحية ويتقيدون بما جاء به الإسلام من أخلاق فاضلة جعلتهم يدافعون عنها في شعرهم ، فهذا هدبة بن خشرم قال :

ولا أبتغي الشرَّ والشرُ تَاركِي ولكن متى أُحملْ على الشرِّ اركبِ[٣٠]

يفخر الشاعر المخضرم في العصر الإسلامي بكره الشر وابتعاده عنه ، وبميله إلى الخير وحبه له ، أما إذا حلَّ الشر بساحته فإنه حين ذاك لا يتوانى عن مقابلته بالشر حفاظا وصونا لكرامته .

وقد نجح أبو الأسود الدؤلي في شكر صاحبيه من خلال استعماله الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) وقد كان حريصا على أن يكون معجمه اللغوي في هذا النص قريب المأخذ بعيد المرمى ، لأن الكلام السهل أقدر على التأثير في النفس وإحداث التخيير المناسب لشد السامع إلى الغرض لاتخاذ الموقف المناسب حين قال :

أميران كانا صاحبَيَّ كلاهُما فكلٌ جزاهُ الله عني بما عَمِلْ

فإن كانَ خَيْرًا كانَ خيرا جزاؤهُ وإن كانَ شرا كانَ شرا كما فعلْ[٣١]

(الخير ضد الشر) لفظان متضادان جمع الشاعر بينهما لإظهار تناوب الحركة واستمرارها في دلالة المعاني المتضادة ، وقد استعمل الشاعر صيغة الشرط ، لأن فيها ترابطا واجتماعا بين الشرط وجوابه ؛ لأن حصول الأول

---

[٣٠] شعره : ٦٩ .

[٣١] ديوانه : ١٣٥ ــ ١٣٦ .

يستلزم منطقيا حصول الثاني ، وهذا متأت من التأثر بالقرآن الكريم في قوله تعالى:((فمَنْ يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يره * ومَنْ يعمل مثقال ذرةٍ شرا يره))[٣٢].

ويرى الشاعر ذاته في شأن صدور الخير عن النفس الإنسانية أن هناك دائما عائقا من النفس يحول دون عمل الخير ، وعلى الرغم من إن نزعه الخير مغروسة في النفس الإنسانية ، إلاّ أن ما يعوقها هو أهواؤها وما فيها من ألوان النزعات كالطمع والحرص حين قال :

أراكَ مَتَى تَهمِمْ يمينُكَ مرة لتفعلَ خَيرا تغتصبْها شمالكا [٣٣]

أعتمد الشاعر في هذا البيت على المتضادات الملموسة (يمينك ضد شمالك) لإثبات وجود الثنائية المتضادة والمتصارعة (الخير ضد الشر) وهي من المتضادات المحسوسة ، واختار لها بيئة واحدة هي اجتماعهما في الشخصية الإنسانية وقد جاء هذا الأمر بتأثير نزعته العقائدية الموروثة من العصر الجاهلي ، فقد كان الناس يتفاءلون باليمين ويتشاءمون من الشمال ((نظرا لطبيعة الحياة الصحراوية ومتاعبها فإن ريح الشمال كانت قاسية على مَن في الصحراء صيفا وشتاءً ، فتذمر العرب منها وذموها ، وتبعا لذلك أصبحت الشمال عند العرب تمثّل موضوع الشؤم والتطير والمنزلة السيئة والضعف ، وفي المقابل أصبحوا يميلون إلى اليمين ممثلا بالخير والتفاؤل والبركة والقوة))[٣٤]. وربما يكون هذا التضاد مأخوذا من نزعته الدينية

---

[٣٢] سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ــ ٨ .

[٣٣] ديوانه : ١٤٢ .

[٣٤] الألفاظ الإسلامية وتطور دلالتها : ٤٠ .

المتأثرة بالقرآن الكـريم وهذا هو الأرجح ، فأصحاب اليمين هم المؤمنـون المتقون في الدنيا وهم الذين يستحقون الجنة ، أما أصحاب الشمال فهم الكفار الذين يكون مصيرهم النار في الآخرة[٣٥] ، قال تعالى : ((ثم كانَ من الـذينَ آمنوا وتواصوا بالصبرِ وتواصوا بالمرحمة * أولئـك أصـحاب الميمنـة * والذين كفروا بآياتِنا هم أصحابُ المـشئمة * علـيهم نـارٌ مؤصـدة))[٣٦] والذي يتجلى لنا من خلال تتبع شـعر أبـي الأسـود الـدؤلي أن مجمـوع آرائه تشكل فصلا خاصـا فـي التربيـة الإسـلامية الفاضـلة ، وتربيـة المُثل العليا .

ومن هنا نـرى أن الـشعراء المخـضرمين قـادرون علـى التحويـل والتبديل ، وقدرة التحويل والتبديل موجودة في زوبعة الثنائيات المتضادة التي تدفع النفوس إلى سبيل الرشاد والخير ، والعلو بها نحـو أهـداف سـامية ، واختيار الطريق السليم جعلهم قادرين على ضغط مراحل زمنية كبيـرة ، إذ قضى على كثير من المشكلات الأخلاقية والاجتماعية المعقـدة التـي كـان المجتمع الجاهلي يعاني منها .

المبحث الثاني

الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب)

((الصدق نقيض الكذب))[٣٧] والصدق هو مطابقة الكلام للواقع وهـي حقيقة علمية يراد بها ((صدق الفعل لأنه يعني موافقة أو مطابقـة وقائعـه

---

[٣٥] ينظر التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٥٣١ ــ ٥٣٢ .

[٣٦] سورة البلد ، الآيات : ١٧ ــ ١٨ ــ ١٩ ــ ٢٠ .

[٣٧] لسان العرب ، مادة (صدق) .

للواقع))[٣٨] وهو بذلك يتباين مع الحقيقة الأدبية التي لا تعتمد على برهان خارجي بل تسكبها العاطفة حية نابضة في قلوب متلقيها ، وهي نتاج الشعور الفردي للشاعر الذي يعرضها فتكون فاعلة مؤثرة في النفوس مما تدفع متلقيها إلى قبولها أو رفضها .

وقد كان للشعر دورٌ بارز في حياة العرب في الجاهلية إذ كان الشاعر حين يمدح أو يهجو يذهب كلامه مثلا حتى قيل ((لا شيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر ، وشعر نادر))[٣٩] . وبهذا يكون الشعر قادرا على الحطِ من منزلة قوم كانت لهم منزلة رفيعة ، ويرفع من منزلة قوم آخرين لم تكن لهم منزلة تذكر ، فبنو آنف الناقة كانوا يخجلون من لقبهم هذا ، ولا يريدون أن يذكروا به حتى مدحهم الشاعر المخضرم الحطيئة في قوله :

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرُهُمُ ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا[٤٠]

فصارَ بعد ذلك لقبهم فخرا لهم ومدحا[٤١] ، ويذهب الشعر في الجاهلية إلى أكثر من ذلك إذ أنه يصبح قادرا على إن يحط من منزلة القوم ثم يعود ليرفعها في ذات الوقت في أبيات تسير بين العرب ، فبنو عبد المدان كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى هجاهم حسان بن ثابت حين قال :

---

[٣٨] من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم : ١٤٥ .

[٣٩] كتاب الصناعتين : ١٤١ .

[٤٠] ديوانه : ٩٣ .

[٤١] المصر نفسه : ٩٤ .

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عَظم جِسْمُ البِغَالِ وأحلامُ العصافير[٤٢]

فقالوا له يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحيي من أجسامنا بعد أن كنا نفخر بها فقال لهم سأصلح منكم ما أفسدت فقال فيهم :

وقد كنا نقولُ إذا رأينا لذي جسم يُعدُّ وذي بيانِ

كأنكَ أيها المعطي بيانا وجسما من بني عبد المدان [٤٣]

ونخلص من كل هذا إلى أن العرب في الجاهلية لم تكن تحفل بالصدق فيما يقوله شاعرهم ، فقد كان الشعر يسير فيهم لما فيه من قوة بيان ودقة معنى وإذا صحت الرواية القائلة أن حجر بن عمرو الكندي قد قال يوما لابنه امرئ ألقيس ((يابني أحسن الشعر أكذبه ، ولا يحسن الكذب بالملوك))[٤٤] فهذا يدل على قدم النظرة القائلة ((أحسن الشعر أكذبه)) فلا أهمية بعد ذلك إذا كان ما أنشده الشاعر مطابقا للحقيقة أم غير مطابق .

أما بعد مجيء الإسلام فقد تغيرت وتميزت قيمة الصدق عند الشعراء المخضرمين المسلمين ((إذ لولاها لانقطعت الروابط الإنسانية وأعتراها الضعف وعدم الثقة وفقدت العقود والعهود قيمتها في التعامل الإنساني))[٤٥]، إذ قال الله تعالى : ((من المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه))[٤٦] ،

---

[٤٢] شرح ديوانه : ٢٧٠ .

[٤٣] ينظر هامش شرح ديوانه : ٢٧٠ .

[٤٤] الإعجاز والإيجاز : ٦٢ .

[٤٥] القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي في صدر الإسلام : ٢٩٦ .

[٤٦] سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣ .

وقد كثرت الاتجاهات الأخلاقية التي نبه عليها القرآن الكريم والسنّة النبوية ونهوا عن نقائضها ، إذ قال تعالى في أصحاب رسول الله : ((وينصرونَ الله ورسولهُ أولئكَ هم الصادقون))[٤٧] ، وقال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : ((إنَّ الصدقَ برٌّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة وإنَّ العبدَ ليتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقا وإنَّ الكذب فجور وإنَّ الفجور يهدي إلى النارَ وإنَّ العبد ليتحرى الكذب حتى يكتبَ عند الله كذابا))[٤٨]. وبهذا النفس الإيماني الذي جاء به الإسلام أصبحت دعوة الشعراء صريحة تدعو إلى النطق بالصدق ، وعدم الإيغال في الوصف أو الإنجراف وراء العاطفة التي قد تقودهم إلى الوهم والخيال الذي يخالف الصدق ، وبذلك لم يعد (أحسن الشعر أكذبه) كما كان بل صار كما يريد الإسلام وكما جاء في قول حسان بن ثابت :

وإنَّما الشّعْرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ ... عَلى المَجَالس إنْ كَيْسا وإن حُمقا

وإنَّ أشعر بيت أنتَ قائلُهُ ... بَيْتٌ يقال إذا أنشدتَهُ صدَقا [٤٩]

وبذلك صارَ الحديث في الشعر يستقيم مع الحقيقة ولا سيما إذا كانت مقدسة مع الخط البياني المتصاعد للانفعال الشعري المتجمهر في بؤرة الإشعاع الواعي للحظة الشعرية المتكونة في أثناء التعاطي مع كيان سماوي ، ذي خصوصية بلغت حد التقديس المطلق أو كادت ، ولعل تأكيد إبراز أقدس جانب تتركز عليه حقيقة ذلك الكيان بل تلك الأفكار برمتها يُعدُّ أمرا مهما ؛

---

[٤٧] سورة الحشر ، الآية : ٨ .

[٤٨] صحيح مسلم : ٨ / ٢٩ .

[٤٩] شرح ديوانه : ٣٤٨ .

فحينما نتعامل معه ؛ ونحاول تعاطي وصفا من أوصافه أو الدخول إلى جزيئة من جزئياته التي أكد الخالق امتلاكه لها ، أو ضرورة امتلاكه لها .

لذلك نجد الثنائيات المتضادة حاضرة في قول رافع بن عميرة [٥٠] حين قال:

فألفيتُ النبيَّ يقولُ قولا ... صدوقا ليسَ بالقولِ الكذوبِ

فبشرني بدينِ الحقِ حتى ... تبينت الشريعةَ للمُنيبِ

وأبصرتُ الضياءَ يضيءُ حولي ... أمامي إنْ سعيتُ ومن جنوني [٥١]

وهذا الحضور قد جاء حضورا كليا عبر صوت لا ينكفئ في دواخل تقتات على بقايا صمتٍ ، أو أسطورة بليدة ... لذا نجد (الصدق ضد الكذب) ضدين قصدهما الشاعر ، فعمد إلى الأول بالإثبات ناحيا فيه صوب صيغة المبالغة بنائيا ــ الحقيقة باطنيا ــ في وصف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقال (قولا) ووصف الأول القول (بالصدق) زنة فعول ، ولم يحتج إلى أية مؤكدات لترسيخ ذلك المعنى وتأكيده ، ولكنه حينما نفى الضد احتاج إلى التأكيد من جهة الموصوف بل من جهة الموصوف لهم مجانسا بين الصفتين (صدوق ضد كذوب) بنائيا غير إن فارقا أسلوبيا اندفقت منه الصورة على صهوة المعنى ففي إثبات صفة الصدق وصف بالمصدر الموصوف (قولا صدوقا) وهو أثبت في تقرير المعنى وتأطير الصورة مما

---

[٥٠] كان رافع بن عميرة الطائي نصرانيا ، ومن اللصوص في الجاهلية ولما جاء الإسلام كان لإسلامه حكاية ذكرها في شعره هي أن الذئب كلّمه ودعاه إلى إتباع دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ويبشره بنصرة من اتبعه فاسلم ، ينظر أُسد الغابة : ٢ / ٢٤١ .

[٥١] أُسد الغابة : ٢ / ٢٤١ ، وينظر مثل ذلك شرح ديوان حسان بن ثابت : ٧١ .

يدل على أن هذه الصفة مسلّمة لا تحتاج إلى برهان يظهر أبعادها لما تحقق في النفوس من الإيمان بها ، في حين أن نفيها يأتي دعما لموقف سماوي منصوص عليه في القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا (صلى الله عليه وسلم) بالصدق في قوله : ((وما ينطقُ عن الهوى* إن هُو إلا وحيٌ يوُحى))[٥٢] . وقد ((كان مشهورا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه ، وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه كما شهد بهما أحبابه وموافقوه))[٥٣] . كما أن الممارسة الحية الواقعية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت قد قررت مسبقا إثبات صفة الصدق للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على الرغم من رفض الواقع في أثبات صفة ما لأحد ما أو سلبها منه .

وبما إنَّ الإسلام التزم وشجع ما يوافق الخلق القويم والفضائل الإنسانية ، ورفض ما يتنافى مع المُثل والقيم والأخلاق الإسلامية ومبادئها السامية ، لذا نجد عاتكة بنت عبد المطلب[٥٤] تلوم الكفار لتكذيبهم لها واستهزائهم بها حين قالت في رؤياها التي رأت في غزوة بدر :

---

[٥٢] سورة النجم ، الآيتان ٣ ــ ٤ .

[٥٣] عبقرية محمد : ١٧ .

[٥٤] هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة الرسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) شاعرة مخضرمة لها شعر قبل الإسلام وبعده ، ينظر شعر المخضرمات بين الجاهلية والإسلام : ٧٩ .

ألم تـَكُ رؤيايَ حقًّا وفـــاتكُمُ بتأويلها فـلّ مـن القـومِ هـاربُ
رأى فأتاكم بـــاليقينِ الذي رأى بعينهِ ما يَفري الـسيوفُ القواضِبُ
فقلتم ولـــم أكذبَ علـيكم وإنما يُكذبني بالصِدقِ من هو كـــاذبُ[٥٥]

إنَّ المتضادتين (الصدق ضد الكذب) اسمان للقائل أو للقـول ، ولكـن الاعتياد عليهما يغرس في النفس صفة الصدق أو الكذب ، لذا فـإن صـدق الحديث من لوازم إكتمال أخلاق المرء عند الشاعرة ، لأنهم يعدونه منجـاة ، وما ذلك إلاّ لإيمانهم بأن الصدق هو حال تقترن بالروح النقيـة الطـاهرة ، وضده الكذب الذي هو أبغض الأخلاق وأذمها عندهم ، وما ذلك إلاّ لإعتقادهم أن الصدق يجلب لصاحبه كل فضيلة ، والكذب يجلب لصاحبه كل رذيلـة ، فكيف بالكافر الذي يكذب هازلا ؟ لا بد من أن يكون أشد جهلا وأكبر جريمة لأنه يهزأ بحرمات الله وحرمات الأخلاق وهو مهتوك الحرمة لأنه متجـاهر بالأثم ، ويتعدى الأمر ذلك إلى كون (الصدق ضد الكـذب) ضـدية علـى أساسها ومنها تتشظى باقي المتضادات الأخرى المشعة في مـساحة المـتن الشعري المرصود .

والذي نلحظه في الشعر الإسلامي للمخضرمين ، أن كثيرا مـنهم تـأثر بأسلوب القرآن الكريم ، وما يتضمنه من معانٍ سامية ، فحسان بن ثابت وهو شاعر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كان قد اسـتوعب المعـاني القرآنية ، فاستطاع أن يفرغها في شعره في قوله :

يا أيها النَّاسُ أبْدوا ذَاتَ أنفسِكُمْ لا يستوي الصِّدقَ عند اللهِ والكَذِبُ[٥٦]

---

[٥٥] معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٢١ .

[٥٦] شرح ديوانه : ٧٨ .

في البدء لا بد من الإشارة إلى التأثر الأسلوبي الواضح في النص بأسلوب الخطاب القرآني الذي أعتاد على استهلال خطابه بعبارة (يا ايها ..) ولا سيما في الطور المكي (المرحلة المكية) وقد تولد من الخطاب الديني هذا (الشعر الديني) وبدا التركيز جليا على ضديتين (الصدق ضد الكذب) إذ هما أساس بناء كيان الإنسان بالنسبة للصدق ، والمعوّل الذي يهدم به ذلك الكيان بالنسبة للكذب ، وقد ورد في الخطاب الديني تغليظ وتشديد على التمسك بالصدق قيمةً ، كونها أساس القيم الأُخرى ، بل لكونها أساس هذا الخطاب الذي تبناه شاعر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخرج عن إطار عام ونظرية قرآنية صرفة عرضها الشاعر من خلال شعره بل هي فكرة أن التغير يبدأ من الذات ، وهو ما نص عليه قول الله عز وجل ((إنَّ الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفُسِهم))[٥٧] .

وتابع لبيد بن ربيعة حسان بن ثابت في الامتثال لمعاني القرآن الكريم وأسلوبه ، إذ قال :

واكذبِ النفسَ إذا حَدَّثتها ... إنَّ صدقَ النفس يُزْرِي بالأَمل

غيْرَ أن لا تَكْذِبَنها في التُقى ... وأَخرُهَا بالبِّر لله الأجلْ [٥٨]

إنَّ البداية مع مجتمع ما تكون خطرة وصعبة ، لأننا يجب أن نبدأ بالجزئيات نحو الكليات لأجل إعداد النفوس إعدادا منطقيا واعيا مبنيا على أساس تفعيل القيم الروحية المتوطنة في النفوس ، القابعة في مديات الصراع الممتد من الجاهلية إلى الإسلام ، فالشاعر

---

[٥٧] سورة الرعد ، الآية : ١١ .

[٥٨] شرح ديوانه : ١٨٠ .

في وصف سعيه في البيت الأول إلى السمو وهمته وطلبه الأمور العظيمة من خلال استعماله مفردة الضدية الأولى (أكذب) في الثنائية المتضادة (أكذب ضد لا تكذبنها) التي عاد وتراجع عنها في المفردة الثانية للضدية نفسها بقوله (لا تكذبها) ليؤكد من خلالها أنّه قانع بها إذا اتقت ربها في حين لا مناص من تكذيبها في غير ذلك ، وفي هذا ما يدل على أن ذات الشاعر قد اختلفت في وقت عنها في وقت آخر مما جعل كلامه هو الآخر مختلفا في ظرف معين عنه في ظرف آخر ، إذ ليس الشاعر مطالبا دائما بأن يقول الأفكار نفسها والأحكام ذاتها ، وإلاّ كانت أشعاره تكرارا لا طائل منه ، ولكن ذات الشاعر هنا متلونة متغيرة بتلون ظروفها وبيئتها ومواقفها ، وبهذا يكون الشاعر قد وضع المعاني في مواضعها التي تليق بها بعد أن تغير موقفه إذ استثنى النفس التي تتمسك بتقوى الله سبحانه وتعالى من أن تكذب ، وفي هذا قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما سئل ((المسلم يسرق ؟ قال : نعم قالوا المسلم يزني ؟ قال : نعم قالوا المسلم يكذب ؟ قال : لا))[٥٩].

دأب الناس على حصر الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب) في نطاق الكلام المنطوق والكلام المكتوب . ولكن الواقع أن الصدق والكذب يتسعان لأكثر من هذين المجالين إلى مجال السلوك الذي تنتهجه الشخصية ، فقد تجلت الثنائية المتضادة

---

[٥٩] لم أجد الحديث في الصحيحين ولا في المساند ولا في التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، لذا خرّجته من الموطأ : ٢/ ٩٩٠ حيث ورد .

(الصدق ضد الكذب) عند الشعراء المخضرمين الإسلاميين من خلال تعاملهم الاجتماعي فهو من الأدلة الدامغة على أخلاصهم وتمسكهم بفضيلة الصدق التي لها أثر كبير في إقامة حدود الله وتجنب نواهيه ، وبذلك نالوا النصر والعزّة .

أما المشركون فقد ضلّوا عن سواء السبيل بتكذيبهم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فكعب بن مالك قال :

مَنْ يتبعْ قولَ النبي فإنه ... فينا مطاع الأمرِ حقٌ مصَدقِ
فبذاك ينصرُنا ويُظهرُ عزِنَا ... ويصيبُنا من نَيلِ ذاكَ بمَرْفَقِ
إنَّ الذينَ يُكذّبونَ محمدا ... كَفَروا وضلّوا عن سبيلِ المُتَقي[٦٠]

والشاعر المخضرم بشر بن قطبه[٦١] يدخل عنصر اللاوعي في عمله الأدبي غير أنه يعمل جاهدا في احتوائه وتقييده حيث نرى ارتكاز النص على آثار الغي الواقعة عليه من طرف الثنائية المتضادة (الأنا ضد الآخر) وهو المنافق مما أدى به إلى تحريك شعوره ونفسه دون عقله واعتقاده فقال :

اقولُ لنَفْسي بَعْدَ ما رَقَّ بالهـا ... رُوَيْدك لَمَا تَشَقَقَنَ حينَ تُشَقَقِ
وكوني مع الراعي وصاة محمدٍ ... وإنْ كذبتْ نفسُ المنافقِ فاصْدقِي[٦٢]

---

[٦٠] ديوانه : ٢٤٧ .

[٦١] بشر بن قطبة بن سفيان الفقعسي وهو شاعر فارس مخضرم ، شهد اليمامة في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) مع خالد بن الوليد . ينظر الإصابة : ١ / ٣٤٤ .

[٦٢] الإصابة : ١ / ٣٤٤ .

سعى الشاعر إلى تصوير حالة القلق الفكري التي كان يعيشها من خلال توظيفه للثنائية المتضادة (كذبت ضد اصدقي) فيها استطاع الشاعر أن يُظهر ذلك التناقض الذي راود نفسه ، فقد أحسَّ في داخله شيئا من التردد والقلق على الرغم من إيمانه بالله سبحانه وتعالى وبرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، لذا نراه يخرج من ميدان نفسه بتجريدها إلى ميدان الأنا ، حين واصل حواره معها فأوصاها أن تسلك سبيل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتثبت على الحق وتخالف نفس المنافق الذي هو الطرف الآخر من ثنائية (الأنا ضد الآخر) التي تطالبه بترويج الكذب في ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ومن هنا نرى أنَّ الثنائية المتضادة (الصدق ضد الكذب) عبر تاريخها الجاهلي والإسلامي كانت شيئا وأصبحت شيئا آخر ، فقد تظافرت على نسجها جملة من الأمور منها المعيار الديني الذي صاغته أحكام القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فضلا عن طبيعة المجتمع الجديد وأصالته وقيمه .

المبحث الثالث

الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر)

الوفاء : وفي يفي وفاءً فهو واف ، يقال وفيَّ فلان بعهدهِ إذا أتمّهُ[٦٣] ، ويقال إنَّ ((الوفي الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحق))[٦٤] . والوفاء صفة ترادف الأمانة ، وهو صورة من صور الكرم النفسي .

---

[٦٣] ينظر لسان العرب ، مادة : (وفي) .

[٦٤] المصدر نفسه ، والمادة نفسها .

الغدر هو الصفة المناقضة للوفاء ، وقيل هي ترك الوفاء بالعهد[٦٥] ، والغدر صفة ترادف الخيانة .

إذا أخذ الإنسان هاتين الصفتين (الوفاء ضد الغدر) بالحسبان ولم يجعل لصفة الغدر مكانا في حياته كان أنسانا سويا ، لأن الغدر لا يمتُّ بصلة للإنسانية فهو لا يمثل دينا أو مذهبا ، وبدون الوفاء تنعدم الثقة بين الناس ويقل الأمان ويعتزل الناسُ بعضهم بعضا ، فالغدر صفة مستقبحة غير مرغوب فيها وقد رفضها بعض رجالات العرب في الجاهلية ، إذ كانوا ((إذا غدر الرجل أو جني جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول ألاّ أنَّ فلان بن فلان غدر ، فأعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تستمعوا منه))[٦٦] . ولهذا عمد الشعراء المخضرمون إلى تسجيل خيانة مَنْ يخون أو يغدر من القبائل أو الأفراد تشهيرا وإظهارا للخيانة الجماعية أو الفردية على إنها أمر محتقر منبوذ لكي ينفر الناس منها ويبتعدوا عنها .

وقد عاب حسان بن ثابت على قبيلة هوازن الخيانة والغدر وعدّهُ خرقا لعاداتهم وتقاليدهم حين بات الشاعر يهجو هذه هذه القبيلة ويعطيها وجها مغايرا عن وجوه الأقوام الآخرين .

وقد تقاطر أسلوب التضاد مع أسلوب السخرية والهزء لكي يزيد من فعالية الكره والإشمئزاز لهذه الصفة الذميمة ولكي يعود الناس إلى الأمانة والوفاء فقال حسان :

---

[٦٥] ينظر المصدر نفسه ، مادة : (غدر) .

[٦٦] أسواق العرب في الجاهلية : ٣٢٤.

أَبلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَا وَأَسْفَلَهَا ... أَنْ لستُ هَاجِيهَا إلاّ بِما فِيهَا
قَبيلَةٌ أَلأَمُ الأحْيَاءِ أَكْرَمُهَا ... وَأغدَرُ النَاسِ بالجيرانِ وَافِيها
وَشَرُّ مَنْ يَحْضُرُ الأَمْصَارَ حاضِرُها ... وشرُّ باديةِ الأعرابِ بَادِيها
تُبْلَى عِظَامُهُمُ إمَّاهُمُ دُفِنُوا ... تحتَ الترابِ ولا تفنى مَخَازِيَها[٦٧]

الملاحظ في النص تقاطر المتضادات على نحو يتلاءم مع المرمى الذي قصد إليه الشاعر وهو الهجاء ، وقد حدا بشاعريته نحو رسم صورة ثلاثية الأبعاد لتجسيد صورة القبيلة المهجوة ثم تأطيرها بكل المقابح والمقادح ، فيورد عبر مسافة الإنفتاح النصي ما يملأ أشداقه من المعاني ليلفظها على القبيلة المهجوة على نحو تشخيصي بارع ، فهو يرى أنَّ (أكرم) ما في القبيلة المهجوة هو (ألأمهم) و (أوفاهم) (أغدرهم) وقد استوقفني إتكاء الشاعر على صيغة التفضيل في بيان المتضادات ، غير أنَّ ما تؤسسه هذه الصيغة في هذا المتن الشعري لا يراد بها المفاضلة حقيقة ، بل تهويل حجم القبح ، وتفاهة صورة القبيلة المهجوة ، وقد نجانب الصواب لو سمينا مثل هذا البناء التضادي بـ (التضاد التفضيلي) ، ونريد به الأضداد التي ترد على صيغة (افعل التفضيل الصرفية) ويراد بها التفاضل المعروف عرفا .

ثم أننا لو نظرنا إلى النص من زاوية أُخرى لوجدنا أنَّ قمة التضاد فيه قمة مكانية أي تضاد مكاني (أعلاها ضد أسفلها) و (حاضرها ضد باديها) ، وكذلك (تبلى ضد تفنى) حيث ورد الفناء الذي هو ضد تبلى بقرينة لفظية هي لا ، كما إننا لا نغفل عن الإشارة إلى أنَّ الأضداد القيمة قد إنحصرت بين الأضداد المكانية مما يدل على أنَّ للبيئة أثرها في تحديد أبعاد

---

[٦٧] شرح ديوانه : ٤٨٦ .

المتضادات ، وتعيين مدياتها من خلال شبكة العلاقات التي يربط بينها المؤشر التضادي ، إذ ربما يكون شعاع التضاد واحدا أي ذا أصل واحد أو مرد واحد ، لكنه بعد ذلك يتجمع ليصبح حزمة من المتضادات التي تجتمع في مخيلة الشاعر ليعبّر بها عن حرمانه من مساحة الوعي في التأمل ، والتروي والبقاء .. وهذا هو المحمل الذي تُحمل عليه جملة الأضداد التي تقاطرت في شعر حسان بن ثابت ذي التجربة الشعرية المتغايرة (المخضرمة) ، فقد شهد التبدل والتحول الاجتماعي والأخلاقي الذي ألقى بظلاله على مساحة واسعة من فكره وشعره ولا سيما انه كان يمثل المنبر الإعلامي للدعوة الإسلامية بعد البعثة المحمدية الشريفة .

ويبدو أنَّ جانبا من جوانب الوفاء الذي أبدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد حيال أخيها صخر امتزج مع مقدار الرعاية التي قدّمها لها في حياته[٦٨] مما حدا بها إلى أنْ تذكره أكثر من أخيها معاوية في دائبة في ذكره وذكر وفائه وحرصه على الأمانة والحفاظ عليها فقالت :

سَمحٌ سَجِيتهُ جَزِلٌ عطيتهُ ... وللأمانةِ راعٍ غيرَ خوَّانِ[٦٩]

الأمانة ضد الخيانة ثنائية متضادة جاءت مفرداتها مرادفة للثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) وقد حصل التضاد بها إلاّ أنَّ

---

[٦٨] قالت الخنساء ترثي أخاها وتذكر جانبا من كرمه معها .

ألا يا صخرُ إن ابكيتَ عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا

دفعتُ بكَ الجليلَ وأنتَ حيٌّ ... فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلا

البيتان أخلت بهما رواية شرح ديوانها لذلك خرّجتهما من أنيس الجلساء : ٢٢٥ ــ ٢٢٦ حيث وردا .

[٦٩] البيت أخلت به رواية شرح ديوانها ، لذلك خرّجته من أنيس الجلساء : ٢٤٧ إذ ورد .

الشاعرة قد انتهكت ذلك التضاد عبر توظيفها كلمة (غير) النافية لتحقق الدلالة المبتغاة .

يكشف البحث عن الثنائيات المتضادة في شعر الشعراء المخضرمين عن قدر هائل من الأخلاق الفاضلة التي حاول الشعراء أن يتلبسوها ويظهروا من خلالها بمظهر الرجال الحافظين الأمانة والعهد ، الكارهين الخيانة والغدر ، الكاتمين الأسرار .

على أنه مهما عرف عن العرب في الجاهلية من فضائل ومكارم أخلاق ، فلم يكونوا يفعلونها لذاتها فحسب ، بل إتقاءً للذم وإجتلابا للثناء ومحافظة على الحسب والمجد وطلبا لحسن الأُحدوثة .

ولهذا كان فيهم عفة واعتدال وابتعاد عن كل ما يخلُّ بالمروءة والشرف والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ذكرنا بعضها ونذكر قول قيس بن الخطيم يفخر بنفسه :

ياعمروُ إنْ تُسْدِ الأمانة بيننا ... فأنا الذي إن خُنْتَها يرعاها

ياعمرو ليسَ أخو الأمانةَ بالذي ... مَا رابَهُ من خطةٍ أفشاها

ياعمرو إنَّ أخا الأمانة كاتمٌ ... لو يستَطيعَ بجلدِهِ أخفاها [٧٠]

يعمد الشاعر إلى إشاعة الثنائيات المتضادة في النص ليؤكد معنى من المعاني عن طريق خلق حالة من التضاد ، لإبراز التمايز بين المتضادات ، فمن المعلوم أنَّ الطبيعة البشرية في تكوينها قائمة على نوع من العلاقات الثنائية لما بين المدركات المحسوسة ، أما الصور

---

[٧٠] ديوانه : ٧٠ ، وينظر مثل ذلك : ٥٦ ، ٧٨ .

الفنية التي تصور معاني ذهنية فـ ((ليس لها ما يقابلها في العالم ـ الحسي سوى ما يبدو من أثارها))[٧١] . لذلك حصل التضاد في البيت الأول بين (الأمانة ضد الخيانة) كما حصل في عجز البيت الثاني والثالث بين (أفشاها ضد أخفاها) من أجل خلق صورة ذهنية في عقل المتلقي تشير إلى إنسانية الشاعر وأخلاقه الفاضلة وصفاته الحميدة ، لأن العرف الاجتماعي السائد لدى العرب حينذاك كان يدعو إلى المحافظة على الأمانة وكتمان الأسرار ، فقد قال أكثم بن صيفي ((إنَّ سرك من دمك فأنظر أين تريقه))[٧٢] فالسر بحد ذاته أمانة معنوية ، والإنسان يرتقي بمعنوياته أكثر من مادياته .

وبعد هذا فإنَّ الشعراء المخضرمين قبل الإسلام كانوا كما رأينا على شيء من التفكير الأخلاقي ومعرفة الفضائل والعمل بها .

ولما جاء الإسلام لم يتنكر لكل ما كان عليه العرب من آداب وأخلاق ، بل أقر منها ما رآه صالحا لبناء أمة وإنهاض شعب ، ونهى عما رآه سيئا ، وجاءهم فيما جاءهم في قوله تعالى : ((وأوفوا بالعهدِ إنَّ العهدَ كانَ مسؤولا))[٧٣] . وقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقودِ))[٧٤] .

---

[٧١] الصورة الفنية في شعر الصعاليك قبل الإسلام : ١٦٨ ، وينظر الصورة في الشعر العربي : ٢٨ ، يعدُّ الدكتور علي البطل الصورة الحسية جزءا لا يتجزأ من الصورة الذهنية .

[٧٢] عيون الأخبار : ١ / ٣٤ .

[٧٣] سورة الإسراء ، الآية : ٣٤ .

[٧٤] سورة المائدة ، الآية : ١ .

وقد جسّد الشعراء المخضرمون في العصر الإسلامي القيم الأخلاقية الفاضلة والصفات الإنسانية الحميدة في شخص النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ ((يندر أن نجد في التاريخ وفاءً يشابه وفاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بل لا نجد مثيلا في التاريخ كله لهذا الوفاء))[٧٥] . وبذلك استطاع الشعراء تثبيت صفة الوفاء في شخصه الكريم ونقضهم صفة الغدر التي كان المشركون يتصفون بها ، إذ قال حسان بن ثابت يهجو الحارث بن عوف[٧٦] :

يَاحَارِ مَنْ يَغْدِرُ بذِمَّةِ جَارِهِ ... مِنْكُمْ فإنَّ مُحمدا لَمْ يَغْدِرِ
إن تَغْدِرُوا فالغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ ... وَالغَدْرُ يَنْبتُ في أُصُولِ السَّخْبَرِ
وأمانةٌ المُرِّيّ حَيْثُ لقيتَهُ ... مِثْلُ الزجَاجةِ صَدْعُها لَمْ يُجْبَرِ[٧٧]

اتخذ الشاعر من نفس المهجو الفضاء الذي يدور فيه التضاد ، إذ قابل بين (يغدر ضد لم يغدر) فقد جعل المتضادة تتصارع في نفس المهجو ، لأن الجمع بين اللفظة وضدها ((يسهم في خلق توتر إيقاعي يمكن أن يكون عنصرا جذب في القصيدة))[٧٨] وقد زاد من

---

[٧٥] الرسول القائد : ٢٤٠ .

[٧٦] الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري رجل من المشركين قدم على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه أمامه وبعث معه النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا من الأنصار إلى قومه فقتل الأنصاري ولم يستطع الحارث حمايته ، ينظر هامش شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٦٦ .

[٧٧] شرح ديوانه : ٢٦٦ ــ ٢٦٧ . السخبر : نوع إذا انتهى استرخى رأسه ولم يبقَ على استقامته وهو لا يثبت على حال .

[٧٨] المناسبات في الشعر العربي الحديث : ١٢٦ .

عمق هذا التضاد في نفس المهجو أسلوب الشاعر في عرض هذه الثنائية فهو يعمل إلى تقرير حالة الغدر عندهم ، إذ شبهها قائلا (مثل الزجاجة صدعها لم يجبر) ، مما حدا بالمهجو أن يتعامل معها ويركز جهده على تفنيدها ، لذا جاء إلى النبي محمد (صلى الله عيه وسلم) وطلب منه الإجارة من شعر حسان إذ قال : (أجرني من شعر حسان فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه)[٧٩] وهنا نجد أنَّ حسانا يشكك في توجه الحارث ونيته إذ يغوص في الأدلة التي تكشف عن الغدر الثابت والمقيم الذي لا يمكن رتقه مهما فعل .

العتاب هو طلبك إلى المسيء ، الرجوع عن إساءته[٨٠] ، وهو شاهد من شواهد المودة ودليل على الوفاء بين الناس إلاّ أن فيه شيئا من المخادعة إذا مازجه بعض الهجاء ، أو قد يكون سببا من أسباب القطعية والجفاء إذا كثر وخشن جانبه وثقل صاحبه ، وإذا قلَّ كان أدعى للألفة وإدامة الصحبة[٨١] ، وهذا كله يعتمد بدوره على المعنى الذي يرتكز عليه الشاعر في عتابه ، فحُميد بن ثور يقف عند صورة الأمانة والوفاء يمتدحها ويشيد بها ليوجد أنموذجا يقتدي به في بيئته الجديدة التي ترفض الغدر والخيانة وتضع لها عقوبة دنيوية وأُخرى أخروية وهو يُذكر الخائن أنَّه سيلقى يوما ما حسابا عسيرا عند الله تعالى فقال :

---

[٧٩] أدباء العرب : ١ / ٢٨١ .

[٨٠] ينظر لسان العرب ، مادة : (عتب) .

[٨١] ينظر العمدة : ٢ / ١٦٠ .

خَليليَّ إنـــي مشتك مـــا أصَابني لِتَـــستَيقِـــنَا مَـــا قَدْ لَـــقيتُ وتَعلَمـــا
أُمليكُمـــا إنَّ الأمانـــةَ مَـــنْ يَخنْ بِهـــا يَحتَمِـــلْ يومـــا مِنَ الله مأثَمَـــا
فلا تُفشيا سرِّي ولا تخـــذلا أخا أبثكُمَـــا منـــهُ الحَـــديثَ المُكتَمَـــا[٨٢]

المكونات الفنية في نص حُميد بن ثور تقوم بدور فعّال في توضيح حركـــة العلاقات الداخلية للنص وتفعيلها ، الأمر الذي يجعل الأضداد مـــن العناصـــر المؤسسة للبنية الحركية في نص الشاعر ، وهذا ما تجلى مـــن خـــلال البنيـــة الحركية للتضاد الذي يجتمع فيه الأسم والفعل ، ففـــي الثنـــائيتين المتـــضادتين (الأمانة ضد يخن) و (وتفشيا ضد المكتما) نجـــد المفارقـــة بـــين الثبـــات والديمومة من جهة أولى ، والحيوية والتجدد من جهـــة ثانيـــة ، فالأســـماء أو الصفات تدل على الثبات والتقرير لحالة الشاعر المستقرة وهـــي التـــي تـــشكل المحور الإرتكازي الذي تدور حوله المتضادات وقد تجلت فيهـــا كـــل معـــاني الأخلاق النبيلة .

من المعلوم أنَّ الهجاء يظهر المعاني السلبية ، لأنه يقابل المُثـــل والمناقـــب والصفات الكريمة التي كان الشعراء يبنون عليها مدائحهم ، لـــذلك فـــإن لهـــذا الأسلوب أثرا ووقعا شديدا في نفس المهجو ، وهو من أكثر الأساليب هجـــاء ؛ لأنه يجرد المهجو من معاني القيم والعادات الكريمة التي يحافظ عليها الإنـــسان العربي ، فكلما كثرت أضداد المديح كان الهجاء أمر وأشد[٨٣] فكان لا بد من أن تدخل ضمن هذا الفن جملة تغييرات تشتمل على المعاني والأفكار والصور حين

---

[٨٢] ديوانه : ٢٨ ، وينظر مثل ذلك ديوان ابن مقبل : ٢٩٨ ، وشرح ديوان حـــسان بـــن ثابت : ٣٩٦.

[٨٣] ينظر نقد الشعر : ٩٢ .

انضوى الشعراء تحت راية الإسلام ، وربما يعد هذا من الأغراض التقليدية التي طرأت عليها التغييرات بصورة كبيرة منذ أن أُستعمل الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن مبادئ الدين الإسلامي[٨٤] ، فهذا النمر بن تولب تنازع مع رجل من بني ربيعة اسمه وهب ، في بئر تدعى (الدحول) وهي في أرض عكل ، وقيل إنما نزاعهما أن النمر سقاه فلم يشكر له فلم يزد أن قال فيه :

يُريدُ خِيانتي وَهبٌ وأرجو ... من اللهِ البراءَةَ والأمانا
فإن اللهَ يعلمني ووهبا ... ويعلمُ أنْ سنلْقاهُ كِلانا
وأنْ بني ربيعةَ بَعْدَ وهبٍ ... كراعي البيتَ يَحْفَظُهُ فخانا[٨٥]

من خلال تحليل الألفاظ الداخلة في الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) تتضح لدينا ثنائية (الخيانة ضد الأمانة) وهي من مرادفاتها ، وهاتان المتضادتان من الصفات التي تنسب إلى الإنسان بالسلب والإيجاب ، فالخيانة تستوجب نقيضا لها وهو الأمانة ، ومن خلال النظر إلى متون المعاني المتجمهرة في النص نستشف علاقة التضاد التي بها يمكننا أنْ نكتشف علاقة مهيمنة على النص تضمها المقابلة بين اللفظتين المتضادتين مشيرة إلى أهمية الصفة لدى الشاعر ، فالخيانة هي اللفظة الإرتكازية التي حاول الشاعر إظهارها في صراعه مع المهجو ، فقد كررها مرتين وقد أشرك قبيلته معه فيها على الرغم من إسلامها لعله يجعلها تقوم

---

[٨٤] ينظر ديوان ابن مقبل : ٧٦ حين قال :

لَوْلا الحَياءُ ولولا الدِّينُ عبتُكُما ... ببعضِ ما فيكُما إذ عبتُكما عَوري

[٨٥] شعراء إسلاميون ، شعره : ٣٩٤ ــ ٣٩٥ .

بنبذه وطرده من المجتمع الإسلامي ، وبذلك يكون قد حقق ما يريد بإشاعة أحد النقيضين .

ويظلُ الباب مفتوحا لصور جديدة في شعر الشعراء المخضرمين فيها أشكال من صور التضاد السياقية ؛ لذا كانت كثيرة ، لأن أغلب صور التضاد السياقية جاءت لضرورة إنبجست عنها صورهم الشعرية المتضادة وهي تحمل بين طياتها ثقلا فكريا جديدا يهفو الشاعر من ورائه إلى تعيين الدلالة الموروثة ، فكعب بن زهير في أثناء دعوته قومه إلى الإسلام بعد أن عرف الحق وآمن به ليظهر الفرق بين ما يكون عليه حال المسلمين من الالتزام بالعهد والوفاء به وبين ما كان عليه حال قومه المشركين من الغدر والخيانة وعدم التمسك بالعهود ، قال :

لَشَتَّانَ مَنْ يَدْعُو فَيُوفي بِعهْدِهِ ومَنْ هَوَ للعهدِ المُؤكَّدِ خالِعُ[٨٦]

فيوفي هذه المفردة الأولى من الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر) التي يقابلها في جداول المتضادات المعجمية (يغدر) لكن الشاعر عدل عنها إلى مفردة خالع وهي نتيجة للغدر الواقع عليها ليصل إلى غرضه بسرعة وخفة ، فبدلا من أن يقول لقومه الذين يدعوهم إلى الإسلام أن المسلمين أصحاب وفاء وقد وقع عليهم الغدر من جانبكم خفف الشاعر جملته الشعرية وابعد لفظة (يغدر) وجاء بلفظة خالع التي يختفي بين حروفها معنى الغدر (اللفظ المبعد) لأنه لم يكن يريد أن يكون فظاً غليظ الجانب معهم آملا في هدايتهم ، إذ استبدلها بهذه اللفظة لكي يجعل وقعها

---

[٨٦] شرح ديوانه : ١١٣ .

أخف عليهم وليجعل قلوبهم ترق وتلين للدخول في الإسلام وتؤمن بالله سبحانه وتعالى .

وفي الختام لا بد أن نقول إن وجود الثنائيات المتضادة في شعر الشعراء المخضرمين بهذه الكثرة يرجع إلى الإنقلاب والثورة الفكرية التي حدثت في حياتهم ، مما جعلهم يقيمون موازنة في أحوالهم الاجتماعية والأخلاقية فظهر لهم الفرق بين حالهم في الجاهلية والإسلام .

المصادر :

- القرآن الكريم .
- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ــ حياتهم ــ آثارهم ــ نقد آثارهم ــ بطرس البستاني ، دار المكشوف ودار الثقافة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة العاشرة ــ أيلول ، ١٩٦٨.
- أسواق العرب في الجاهلية ، سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الفكر بدمشق ، ١٩٦٠م .
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق الشيخ علي محمد عوض والشيخ علوان أحمد عبد الموجود ، قدّم له محمد عبد المنعم العربي و د. عبد الفتاح أبو سنه و د. جمعة طاهر النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، د. ت .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبن عبد البر القرطبي

(ت ٤٦٣هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ .

- الإعجاز والإيجاز ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق اسكندر آصاف ، الطبعة الأولى ، مصر ، المطبعة العمومية ، ١٨٩٧م .
- الألفاظ الإسلامية وتطور دلالتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، يعرب مجيد مطشر العبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
- الانتماء في الشعر الجاهلي ، د. فاروق أحمد أسليم ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، ١٩٩٨م.
- الأنساب ، لأبي سعيد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ﻫ) ، نشر د.س. مرجليوث ،١٩١٢م وتصوير الاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ،١٩٧٠ م.
- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، طبع لأول مرة نقلا عن ست نسخ خطية قديمة ، اعتنى بطبعه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٨٨٦م .
- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الشيخ علي ناصف ، وعليه غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- جمهرة انساب العرب ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م.

- جمهرة النسب ، لأبن السائب الكلبي ، تحقيق د. ناجي حسن ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .
- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ، منشورات وزارة الأعلام ، الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- ديوان ابن مقبل ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، حققه وشرحه وقدّم له عبد الكريم الدجيلي ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .
- ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان أمين طه ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .
- ديوان حُميد بن ثور ، وفيه بائية أبي داود الأيادي ، صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م .
- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، هاشم الطعان ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥م.
- ديوان المعاني ، للإمام اللغوي والأديب أبي هلال العسكري عن نسخة الإمامين العظيمين الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني ، عالم الكتب ، د. ت .

- ديوان معن بن أوس المزني (ت ٦٤هـ) صنعة د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، قدّم له أحمد الزين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
- الرسول القائد ، محمود شيت خطاب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .
- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، د.ت .
- شرح أشعار ديوان الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، ومطبعة المولى ، القاهرة ، د.ت .
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- شرح ديوان الخنساء ، أبو العباس ثعلب ، قدّم له وشرحه د. فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠ م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، حققه وقدّم له د. إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٤م .
- شعراء إسلاميون ، د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤م .
- شعر المخضرمات بين الجاهلية والإسلام ، (جمع وتوثيق ودراسة) ، نضال أحمد باقر الزبيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى ، كلية التربية ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- شعر النابغة الجعدي (ت ٦٥هـ) ، تحقيق عبد العزيز رباح ، الطبعة الأولى ، نشر المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
- شعر هدبه بن الخشرم العذري ، تحقيق د. يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٦م .
- صحيح مسلم ، لأبي الحسن بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، مشكول ، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، د.ت .
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م .
- عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم) ، عباس محمود العقاد ، نشر وتوزيع مكتبة العروبة ، دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت ٤٥٦هـ) ، حققه وفصله وعلّق

على هوامشه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

- عيون الأخبار ، لأبن قتيبة ، أبو محمد عبد اللّه بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م .
- كتاب الصناعتين ، والكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، الطبعة الثانية ، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، د.ت .
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام ، د. ليلى محمد ناظم الحيالي ، مكتبة لبنان ــ ناشرون ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .
- المناسبات في الشعر العراقي الحديث ، مرحلة الإحياء ــ دراسة موضوعية فنية ، فالح عبد سلامي ألشمري ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٩٩٩م .
- من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ، د. عثمان موافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت .
- منهج التربية الإسلامية ــ أصوله وتطبيقاته ، د. علي احمد مدكور ، مكتب الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ــ القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

- الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، د.ت .
- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .